والشهوة ، وأن تعمل بالهوى ، فإذا فطمتها عن العادة انفطمت ، ألَا ترى أن الصبى إنما اعتاد ثدى أمه ، كيف سكوته بذلك الثدى ، إنما يحن إليه إذا فقده ، وكيف يفرح به إذا وجده . فكذلك النفس الشهوانية ، فإذا فطم الصبى انفطم ، حتى لا يلتفت إلى الثدى بعد ذلك ؛ لأنه وجد طعم ألوان الأطعمة ، فلا يحن إلى اللبن ، كذلك النفس إذا وجدت طيب اليقين ، وروح قرب الله تعالى ، وحلاوة اختيار الله عز وجل ، وجميل نظره لها ، لم تحن إلى تلك الشهوات .

## اليقين

قيل له : فبماذا يوجد اليقين[1] قال : بطهارة القلب ؛ لأن اليقين طاهر فيطهر مكانه ومستقره .

---

(١) قال المحققون : اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد ، وفيه تفاضَلَ العارفون ، وتنافسَ المتنافسون ، وإليه شمر العاملون ، وإذا تزوج الصبر باليقين ، ولد بينهما حصول الإجازة فى الدين ، قال الله تعالى : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [ سورة السجدة – الآية رقم ٢٤ ] .

قيل له : وما طهارته ، قال : ترك ما اضطرب القلب عليه ورابك منه تورعًا ، دق أو جل ، ثم تطهره من التعلق بالشهوات ، والاشتغال بها ، فإذا أنت فعلت ذلك صقلت قلبك ، فصار لك مرآة بالتورع ، فكلما تفكرت شيئًا من أمر الآخرة ، تمثل ذلك فى مرآتك ، حتى تصير الآخرة لك معاينة ، فإذا منعت قلبك عن حريق الشهوات ، كما تصون مرآتك عن حرارة أنفاسك ، تمثل فى قلبك الملكوت ، حتى يصير أمر السمٰوات إلى العرش لك معاينة ، تبصره بعينى قلبك ، كأنك تنظر إليه ، كما قال حارثة ، رضى الله عنه : يا رسول الله . « كأنى أنظر إلى عرش ربى بارزًا ، وإلى أهل الجنة كيف يتزاورون ، وإلى أهل النار كيف يتعاوون » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عرفت فالزم ، عبد نَوَّرَ الله الإيمان فى قلبه** »[1] . فإذا صنت قلبك فصنه بعد ما ذكرنا عن النظر إلى نفسك إعجابًا وفرحًا ، بالغطاء لها انقطعت الأسباب منك ، وَصَفَا لك طريقك إلى الله عز وجل بلا غبار ولا غيم ، فلا يغان[2] على قلبك ،

(١) رواه البزار بسند ضعيف عن أنس والطبرانى فى الكبير من حديث الحارث بن مالك ، وسنده ضعيف أيضًا .

(٢) يقال : غين على قلبه غينًا ، إذا تغشته الشهوة . وقيل : غين على قلبه =

فإذا أصاب قلبك الغين استغفرت الله فى اليوم مائة مرة » .
وهذا الغَيْنُ من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليس كما يجده مَنْ بعده فيما نعلمه ، فليس نراه من طريق التخليط ، ولا من طريق العيب ، فقد كان قلبه أظهر ، وشأن أمره أعظم وأجل من أن يُظَن به .

ولهذا الباب تفسير أوضح من هذا ، نبينه فى آخر هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى ، فى صفة القلب وخلقته وشرح اليقين ما هو .

[ وإنْ ] أردنا أن نَسْتَتِمَّ ذكر النفس ورياضتها عدنا إلى ذكر رياضة النفس ، ألا ترى أن البازى كيف كان نفاره من الأدميين فى الجبال الشامخات ، فلما رُبَّ وأُمْسِكَ على التربية ، أنِس بصاحبه ، وأخذت التربية بقلبه ، واعتاد السكون معه ، فنزع عن النفار ، وترك هَمَّ الطيران ، واطمأن إلى صاحبه ، حتى إذا أرسله وحثَّه على الطيران طار ، فأصاد وأمسك عليه صيده ، تحريًا لموافقته مولاه ، ثم إن دعاه من الطيران رجع ، وآثر هواه على هوى موافقة نفسه ، فأجابه منقضًّا إلى حبله وسباقه .

---

= غطى عليه وألبس . وغين على الرجل أى غطى عليه « لسان العرب » .

أفلا يحق على مؤمن أبصر هذا أن يموت كمدًا وعبرة ، وأسفًا على فَوْتِ هذا من نفسه ، أن يكون طيره أسمع له وأطوع ، وأشد تحريًّا لموافقته ، وألزم لنصيحته من العبد المؤمن لربه .

ألا ترى إلى الدابة الخسيسة قيمتها قليلة ، تُؤخذ من الدواب وقد اعتادت الرعى حيثما شاءت ، كيف يروضها الرائض على قبول السرج واللجام ؟ وكيف يؤدبها حتى تأخذ السير ؟ وكيف يؤدبها عند القناطر ، وفى مواضع الجلبة . يريد أن يشيعها حتى لا تهاب هذه المواضع إذا بلغت ؟ وكيف تفتح أذنيها عند المسير ، وتميل يمينًا وشمالًا لا ينقلب عنانها ، فإن لم تجد قنطرة فأهوى بعنانها ، وثبت إلى الجانب وثبة مخاطرة بنفسها ، وإن استقبلتها جلبة لم تهب ، ولم تترك سيرها ، فتصير بحال تصلح لذلك ؟

فإن قُوِّمَتْ قُوِّمَتْ بالدنانير رفعة لها ، لا بالدراهم ، فتجلل وتبرقع ، ويصفى لها العلف ، وتربط فى مربط الملك ، فإنما بلغت هذا المبلغ ، وسقط عنها جهد العمل وكده ، وحمل أثقال الحمولات ، وتخلصت من دبر الظهر ، ومشقة الاستعمال .

فإنها تركت هواها ، ورفعت بالها عن نفسها ، فإن خاطرت لم تبال ، وإن أتعبت نفسها لم تمل ، وإن اقتضاها راكبها السير[1] والركض والوثب ، استفرغت مجهودها فى إعطاء كل ما يُبْتَغَى منها ، من غير جمح ، ولا حزن ، ولا تلكؤ ، ولا شمس ، ولا كسل ، ولا تركت أدبها . وقد كانت قبل ذلك هملًا فى الرعى ، تفعل ما هويت ، فهى قريبة القيمة من أشكالها من الدواب . وإنما اختصها الملك وأطاب علفها ، وصانها عن رؤية الناس ، وجللها ، وعزلها عن الجهد والكد ، بترك مراعيها وهواها ، ونشاطها ، وأنسها بأشكالها ، واحتمالها التعب فى جنب مالكها ، وإعطاء المجهود بالصدق من نفسها ، ويقظة قلبها ، ونظرها بقلبها إلى راكبها .

ولو كانت – إذا راضها – لم تنقد لمولاها ، ولم تأخذ سيرها ، ولم تؤدب بأدبه ، فإن سَيَّرَهَا أبطأت فى السير ، وإن مال بعنانها امتنعت وشَمَست[2] ، وإن مدها جمحت فمدت به ، وفى الموضع الذى كان يريد السير منها امتنعت

---

(١) فى الأصل : للسير ، واقتضى يتعدى إلى مفعولين ، تقول : اقتضاه دينه ، كما فى أساس البلاغة للزمخشرى .

(٢) شمست الدابة : شردت وجمحَتْ ومنعت ظهرها « لسان العرب » .

من إعطاء ما فيها من القوة ، وفى الموضع الذى أراد منها الوقوف حرنت[1] ، فركبت هواها ، فجاءت بالقوة التى امتنعت منها هناك فى السير .

فإن قهرها باللجام فأمسكت عن الركض ، لم تمسك من أجل مولاها ، ولكنها أمسكت من كبح اللجام ، والألم الذى خلص إلى كبوحيتها ، فأشفقت على فيها ، وأسنانها ، ولسانها ، وحنكها ، فتركت حينئذ هواها ، فجعلت تدور ولا تستقر ؛ لأنها لم تسخُ نفسها الدنيئة بطاعة راكبها ، ومع ذلك تبول وتروث فى مكانها ، وتبرك فى مكانها .

فإن استقبلها جلبة نفرت ، وتركت سيرها ، فرجعت قهقرى ، فربما كانت من خلفها بئر أو جرف تتردى فيها ، وتنكسر وتقتل نفسها ، فهذه دابة خسيسة ، فيها أخلاق السوء ، لا تصلح للملك ، وإنما تصلح للحمولة ، فتراها الشهر ، والدهر موكفة[2] تحت الحمولة ، فمرة مهزولة ،

---

(١) حرنت الدابة تحرن حرانًا ، وهى التى إذا استدار جريها وقفت . وفرس حرون لا ينقاد . إذا اشتد به الجرى وقف : « لسان العرب » .

(٢) موكفة من الوكف . وهو الثقل والشدة « لسان العرب جـ٦ ص ٤٩٠٩ » .

ومرة دبرة جائعة ، فى عنف ، وسير ، وكد عمل ، وهى دابة من الدواب .

فكذلك يصير العبد إذا راض نفسه بترك الشهوات ، وقطع الأسباب ، وانقطع عن اللذات ، ومجاهدة الهوى ، وامتناعه عما يريد ، حتى تذل وتنقمع ، فحينئذ ينقاد القلب والعقل ، وتستقيم فى سيرها على حد ما أمر به ، ولا تهاب أحدًا فى أموره ، ولا تخاف فيه لومة لائم .

وإذا نابته النوائب خاطر بنفسه فى ذات الله ، وأذنه مصغية إلى مولاه ، وقلبه شاخص إلى مشيئاته وإرادته ، وإلى ما يبرز له من حجب الغيب ، فيقبله بالطوع والهشاشة ، والانطلاق إلى ما يستعمله به ، وكيف ينقله من حال إلى حال ، فإن رأى نصرته عد ذلك منه فضلًا ورحمة .

وإن رأى خذلانه فزع إليه ، وألقى نفسه بين يديه ، صارخًا إليه ، مستغيثًا به ، فهو ولىٌّ من أوليائه ، رفع باله عن نفسه ، فرمى بها إلى ربها ، فقالت : أنت ربى ، وأنت خلقتنى لما تشاء ، لا لما أشاء ، ولا علم لى بشأنى ، وبما فعلت بى ، ووجدتك أرأف وأرحم بى منى بنفسى ، فرفعت

بالى عن نفسى ، وألقيت بيدى إليك مسلمًا ، فاقبلنى ، فإنك قد بينت فى تنزيلك : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[1] ، وقد ألقيت الخلق وراء ظهرى ، فنظرى إليك ، وقطعتُ الأسباب ، فتعلُّقى بك .

والله تبارك وتعالى قائم عليه ، يرعاه ويلكؤه ، ويؤيده وينصره ، ويقر عينه ، والعبد مشغول بربه ، ينظر إلى ملكه ، وينصر حقوقه ، ويحفظ حدوده ، ويعظم أموره ، ويذب عن دينه ما لا يحمل ، ويدعو عباده ، فهو وليه ، ورب العزة وليه ، وهذا شأنه حتى يلقاه .

وبيان صفة هذا العبد موجود فى الآثار ، حدثنا إسماعيل بن نصر ، قال : حدثنا أبو النذر القطعى ، . قال : حدثنا عبد الواحد بن حمزة ، عن مولى عروة بن الزبير ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة لقمان ، من الآية رقم ٢٢ .

والمعنى : « ومن يتجه إلى الله بقلبه ووجهه ، ويفوض إليه جميع أمره ، وهو محسن فى عمله ، فقد تعلق بأقوى الأسباب التى توصله إلى رضا الله » انظر المنتخب من التفسير .

وسلم ، عن الله تبارك وتعالى ، وحدثنا إبراهيم بن المستمر البصرى ، قال : حدثنا أبو عامر العقدى قال : حدثنا عبد الرحمٰن بن ميمون مولى عروة ، عن عروة ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : حدثنى جبريل عن الله عز وجل – دخل حديث بعضهم فى بعض – أنه قال : « **ما تقرب إلَىَّ عبدى بمثل أداء فرائضى ، وإنَّ عبدى ليتقرب بالنوافل حتى أحبه ، وما تقرب إلَىَّ عبدى بشىء من النوافل مثل النصح لى حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى به يسمع ، وبصره الذى به يبصر ، ويده التى بها يبطش ، ورجله التى بها يمشى ، ولسانه الذى به ينطق ، وفؤاده الذى به يعقل** »[1] . فما ظننا بعبد يعقل بالله ، وينطق بالله ، ويسمع بالله ، ويبصر بالله ، ويبطش بالله ، ويمشى بالله ، كيف يكون سعيه وآثاره متقلبة فى الدنيا .

---

(١) أخرجه البخارى كتاب الرقاق ، باب التواضع جـ٨ ص١٠٥ عن أبى هريرة ، وأشار ابن حجر فى « فتح البارى » جـ١١ ص٣٤١ بتخريجه عن عائشة فى كتاب الزهد للإمام أحمد ، وأشار المناوى إلى تخريجه عند أحمد ، والحكيم ، وأبو يعلى ، والطبرانى ، وابن نعيم ، وابن عساكر ، وابن حبان .

قال له قائل : كيف يكون هذا ؟ قال : هذا عبد قد يسره ، وولى سياسته ، وحفظه ، ورعايته ، واستعمله ، فكان فى صنعه قد أمات فيه الشهوات ، ويسر عليه الصعاب ، وبسط له النور ، ومد له فى الأسباب ، وألهَمه وفهَّمه ، وصيَّره من أولى الألباب ، فإن نطق نطق بحكمة وإن أنصت أنصت بفكرة ، وإن نظر نظر بعبرة ، وإن مشَى مشى بهيبة ، وإن بطش بطش بغلبة ، قد منع قلبه من التفكير ، وسلب فى الأمور التدبير ، وهذا كله موجود تحققه فى الكتاب والخبر .

فأما فى الكتاب فشأن الخضر عليه السلام ، خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وأقام الجدار ، فلو عمل فى الظاهر ، ما قدر على ذلك ، ثم قال فى آخر أمره ، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى﴾[1] . فهذا من الله فى الباطن ، الذى يؤتيه من يشاء ، وقد قال فى ذكره له : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[2] . فقد

---

(١) سورة الكهف – من الآية رقم ٨٢ .

(٢) سورة الكهف – الآية رقم ٦٥ .

بين أن هذا له من طريق العلم ، الذى عَلَّمه ربه . وما ذُكر من شأن ذى القرنين فقال : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[1] . فأوتى العلم الذى لم يؤت غيره .

فإن قال قائل : فهل يجوز لأحد أن يفعل على ما يتراءى له فى قلبه ، أو يقتدى بالخضر عليه السلام ، فيما يبدو ؟ قيل : لا ، قد ختم الله تعالى بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة ، ولم يبق فى الأرض بعده إلا المُلهَمُون ، والمحدثون ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **قد كان فى بنى إسرائيل محدثون ، فإن يك فى أمتى أحد منهم ، فعمر بن الخطاب** »[2] وكان ابن عباس عندما يقرأ هذه الآية : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ ﴾ ولا محدث »[3] . والنبى دون الرسول بدرجة ، والمحدث دون النبى بدرجة ، وللرسول درجة الرسالة ،

---

(١) سورة الكهف – الآيتان : ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) سورة الحج – من الآية رقم ٥٢ .

وللنبى درجة النبوة ، وللمحدث درجة الحديث ، وقد أحكم الله بهذا الإسلام الذى ارتضاه لنا دينًا على لسان الكتاب والسنة ، ما ليس لأحد فيه استبداد ولا تجاوز ولا تقصير ، إنما هو حفظ الحدود ، واتباع الأمر على الجملة .

ثم الصديقون ، والملهمون ، والمحدثون أمور خارجة من الحدود والأحكام ، وهو تدبير الله عز وجل ، وكلاءته ، على ما ذكرناه بدءًا .

ولم نجئ بشأن ذكر الخضر هاهنا لنطلق لمن بعده مثله ، إنما أردنا أن نحقق أن لله عبادًا ، يضع عندهم من مكنون العلم ما شاء ، وأن لهم عنده من المنازل ما يتحقق عند من يفهم هذا ، أن ذلك الذى قلنا كيف يكون ، حتى به يسمع ، وبه يبصر ، وبه ينطق ، وبه يبطش ، وبه يمشى ، وبه يعقل .

فأما ما ذُكر فى الأخبار ، حدثنا عمر بن أبى عمر ، قال : حدثنا الربيع بن روح الحمصى ، قال : حدثنا ابن عياش ، عن ضمضم بن زرعة الحضرمى ، عن شريح بن عبيد الحضرمى ، عن عبد الله بن زيد ، قال : قال لقمان عليه السلام : « ألا إن يد الله تعالى على أفواه الحكماء ، فلا ينطق

أحد إلا بما هيأه الله له » . وحدثنا أبو بكر بن سابق الأموى ، قال : حدثنا عمر بن عبيد الطنافسى ، عن الأعمش ، قال : جاء رجل إلى عمر ، رضى الله عنه ، قال : إن عليًّا شجنى ، فقال عمر ، رضى الله عنه لعلىٍّ : لِمَ شججت هذا ؟ قال : إنى مررت ، وهو مُقاوم امرأة ، فساءنى مقامها[1] ، فصغيت لها ، فسمعت ما كرهت ، فشججته ، فقال عمر رضى الله عنه : « إن لله فى الأرض عيونًا وإن عليًّا من عيون الله » .

حدثنا عبد الجبار بن العلاء ، قال : حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، سمعه من قيس بن أبى حازم ، قال : عرض أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، فرسًا له ، فقال غلام من الأنصار : احملنى عليها يا خليفة رسول الله قال : لأن أحمل عليها غلامًا قد ركب الخيل بعدلته ، أحب إلى من أن أحملك عليها . فقال : لِمَ ؟ فوالله أنا خير منك فارسًا ، ومن أبيك . قال المغيرة : فما ملكت نفسى أن أخذت برأسه فركبته ، فأقبل منخراه كأنهما عزلاء مزادة »[2] .

(١) أى ما هى عليه نتيجه لإساءة الرجل لها .

(٢) عزلاء مزادة : أى فم مزادة – والمزادة : وعاء الزاد والجمع العزالى .

قال : فبلغ أبا بكر رضى الله عنه أن ناسًا من الأنصار يتوعدون المغيرة ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : بلغنى أن ناسًا من الأنصار يتوعدون المغيرة ، والله لا يخرجون من ديارهم أسرع من أقيدهم بروعة الله .

حدثنا الجارود ، عن يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن هشام ، عن عروة ، عن أبيه ، قال : أرسل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد رضى الله عنهما إلى بنى سليم ، فجعلهم فى الحظائر[1] ، فحرقهم بالنار ، قال عمر رضى الله عنه لأبى بكر رضى الله عنه : تستعمل رجلًا يعذب بعذاب الله ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : « دعنا عنك يا عمر ، والله لا أشيم سيفًا سله الله على المشركين ، حتى يكون هو الذى يشيمه » . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ ، رضى الله عنه : « **لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعة** » .

والرفيع : السماء ، والأرفعة : جماعة ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أصاب فيهم حكم الله عنده ، وكان

(١) الحظائر جمع حظيرة وهى ما يدار حول الإبل وغيرها من خشب أو قصب لحفظها من البرد والريح .

حَكَمَ بان تُقتل مقاتلتهم ، وتُسبى ذراريهم ، وتكون الغنيمة للمهاجرين دون الأنصار ، وذلك فى شأن بنى قريظة .

حدثنا عبد الكريم بن عبد الله ، عن على بن الحسن ، عن عبد الله ، قال : أخبرنى أبو بكر بن أبى مريم ، حدثنى راشد بن أبى راشد ، قال كنت مع خالد بن أبى معدان يومًا فى بعض أسواق المدينة بحمص ، فإذا نحن بنصرانى أظهر الشرك بالله تعالى . فقال لى خالد : احسر عن ذراعيك ، ثم قال لى : دق أنفه ، قال راشد : فوجأت أنفه أن دققته ، فانطلق النصرانى فاستعدى علينا ، فقال الوالى لخالد : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : أرغم الله أنفه وأنف من ثقل عليه تأديبنا له ، أنه ليس لهم أن يظهروا شركًا ولا صليبًا ، فيصنع هذا بهم ، حتى يكفوا عن إظهار الشرك بالله عز وجل .

حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، قال : حدثنا سيار عن حفص بن سليمان ، عن مالك بن دينار رحمه الله ، قال : رأى عامر بن عبد قيس ذميًّا يظلم ، فألقى رداءه فقال : والله لا تخفر ذمة وأنا حى[1] فاستنقذه .

(١) لا تخفر ذِمَّة أى : لا تُنقض . ومن المخطوط ط « أتخفر » لا تصح .

فإذا فطمت نفسك عن حرارة الهوى ، ووقعت حرارة الفطام على قلبك ، فذابت تلك الأخلاط عن قلبك ، وظهر قلبك ، وخرج صافيًا كما خرج الذهب الذى أحمى ، فتهافت عنه تلك الأوساخ والأدناس ، لأن للهوى على القلب أوساخًا وأدناسًا ، كما كان للمعاصى على القلب نكت سود ، على ما جاء في الحديث عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **إذا أذنب العبد نكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإذا عاد نُكِتَ أخرى ، فإذا تاب ونزع صقل قلبه** »[1] ثم تلا : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2] .

فإذا ذهبت المعصية بالتوبة ذهب سواده ، وبقى دخانه ، وذهب الشيطان وبقى ظله ، كما ذهب الليل وبقى سدفه[3] وآثاره عند وجه الصبح ، فإذا تاب عن المعصية ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه ، كتاب الزهد ، باب تكرر الذنوب جـ١ ص ١٤١٨ عن أبي هريرة رضى الله عنه ، ط عيسى البابي الحلبي ، وأخرجه الإمام أحمد فى المسند وأخرجه الترمذى فى السنن تفسير سورة المطففين وقال : حديث حسن صحيح جـ٥ ص ٤٣٤ ط الحلبى ، وأخرجه النسائى فى السنن الكبرى فى التفسير وفى عمل اليوم والليلة .

(٢) سورة المطففين الآية رقم ١٤ .

(٣) السدف : ظلمة الليل « انظر ابن منظور لسان العرب جـ ٣ص ١٩٧٤ » .

وهو ممن يستعمل الهوى ، فالهوى باقٍ بعد ، فهذا قلب قد تاب ، ولم ينزع ، فلم يصقل قلبه بعد .

وذلك أن المرآة المصقولة إذا نظرت فيها ، أرتك عن اليمين وعن الشمال ، وخلفك وأمامك ، فإذا قلبت بها إلى عين الشمس هكذا ، فلاقى نور المرآة نور الشمس ، وجدت الشمس تشرق فى مكانك ، وفى بيتك ، فكذلك إذا صقلت مرآتك ، وهى قلبك ، نظرت عنها إلى الجنة والنار ، وإلى بهاء الحسنات ، وإلى جمالها ، ورفعة مرتبتها ، وإلى قبح السيئات ، وإلى الدنيا والآخرة .

وإذا نظرت فيها إلى تدبير خالقك ، تراءى لك عجائب ، وذلك النور الذى تجده عندك – إذا أقبلت بمرآتك إلى عين الشمس – ليس هو الشمس ، إنما هو نور حدث من بينهما ، فإذا صفا قلبك من الهوى ، حينئذ تجد اليقين ؛ لأن اليقين هو نور يحدث على قلبك من نور معرفتك ، ونور إلٰهك الذى هو نور السمٰوات والأرض ، ونور كل شىء .

فإذا أقبلت على الله ، تبارك اسمه ، أشرق القلب بالنور ، فذلك اليقين ، وإذا كان بالمرآة صدأ ، فقلب بها إلى عين

الشمس ، لم يشرق فى البيت منه شمس لأنه قد حال بين نور المرآة ونور الشمس ذلك الصدأ .

فكذلك القلب إذا أقبلت على الله تعالى وعليه الهوى ، لم يشرق بالنور الأعظم ؛ لأن الهوى قد حال بين نور المعرفة ، وبين النور الأعظم ، وهو اليقين ، فإذا ذهب الهوى ، فنظرت له ، تلاقى النوران ، فأشرق فى صدرك ، فأبصرته عين قلبك ، فصار يقينًا ، واليقين فى لغة العرب هو الشىء المستقر الثابت ، تقول العرب ، قد يقن المار فى الحفيرة . .

## صفة القلب

قال له قائل : اشرح لنا صفة القلب .

قال : القلب بضعة من لحم ، فى جوف بضعة أخرى ، وهو الفؤاد ، ومعدن النور القلب ، ومنه قيل خبز فئيد ؛ لأنه فى جوف الرماد الحار والجمر ، فالبضعة الخارجة هى الفؤاد ، وإنما سمى قلبًا لأنه يتقلب ، وله عينان وأذنان وباب ، والصدر بيته ، وإنما سمى صدرًا لأن الأمور تصدر عنه ، فالنور الذى فى القلب يعرف ربه لأنه نوره ، وهو حبة